

## القهر والاستلاب الواقع على المرأة في المجتمعات النامية

معن حمدان سلامة الزبون

ماجستير إدارة تربوية - وزارة التربية والتعليم، الأردن

استلام البحث: 15/03/2021 مراجعة البحث: 16/05/2021 قبول البحث: 18/05/2021

### ملخص الدراسة:

لقد كان الهدف الرئيسي من هذا البحث هو الاجابة عن نساؤل حول ملامح وأشكال القهرالتي تقع على المرأة في عالمنا النامي اليوم، ما هي أهم الملامح والمسببات والاثار، وبعد البحث المعمق حول هذه الظاهرة ، وجد الباحث أن أهم أسباب القهر على المرأة سببه هو تعرض الرجل للعديد من الضغوط بأشكال مختلفة، فكانت ردة الفعل للتفرغ عن هذه الضغوط هو تفرغ هذا القهر بشكل قهر وعنف يقع على المرأة، كما أن الرجل يخشى من فقدان جزء كبير من امتيازاته التاريخية المكتسبة ، لذلك هويرفض أي محاولة لاعطاء المرأة كافة حقوقها، كما وتبين لنا ان السبب الرئيسي في المقولة الصحيحة "المرأة عدو للمرأة" هو المرأة نفسها فهي تخشى وترفض أي محاولة للتغيير لأنها من خلال التنشئة الاسرية والمجتمعية منذ الصغر تشكلت لديها قناعة راسخة بأن هذا دورها الصحيح الذي عليها لعبه، ولذلك يتبين لنا أن طريق تحرير المرأة ما زال في بدايته ويحتاج لصبر وحكمة للوصول للنتائج المرغوبة.

الكلمات المفتاحية: استلاب، قهر، حقوق.

### Repression and alienation of women in developing societies

#### Abstract

The main objective of this research was to answer a question about the features and forms of oppression that fall on women in our developing world today, what are the most important features, causes and effects, and after an in-depth research on this phenomenon, the researcher found that the most important causes of oppression against women is the exposure of men to many The response to releasing these pressures was to empty this oppression in a form of oppression and violence that falls on women, and the man is afraid of losing a large part of his acquired historical privileges, so he rejects any attempt to give women all their rights, as it turns out to us that the reason is The main thing in the correct saying, "The woman is the enemy of the woman" is the woman herself, as she fears

and rejects any attempt to change because through family and community upbringing from a young age she has formed a firm conviction that this is her right role that she should play, and therefore it becomes clear to us that the path to liberating women is still in its infancy and needs For patience and wisdom to reach the desired results.

**Keywords:** Repression, Alienation, Rights,

## المقدمة:

ان مفهوم القهر والاستلاب يعد من اكثر المفاهيم شيوعا، والتي يعاني منها المجتمع العربي بشكل كبير، فنجد في مجتمعا ان القهر متنوع فمن قهر اجتماعي الى قهر اقتصادي، والى قهر تعليمي، فالقوي دائما ما يمارس سلطته القهرية على الأكثر ضعفا، ولعل المرأة في مجتمعا هي الأكثر ضعفا، والتي تقع عليها منظومة القهر بشكل كبير وذلك لعدة اسباب منها ما هو لأسباب اقتصادية او موروثات اجتماعية .

### مشكلة البحث :

أشكال وأسباب القهر والاستلاب الواقع على المرأة في العالم النامي.

### فرضيات البحث :

وقد تلخصت الفرضيات الرئيسية للبحث على الشكل التالي :

- ما هي ملامح وضعية القهر التي تقع على المرأة ؟
- ما هي اوجه القهر والاستلاب، وأهم وسائله؟
- ما هي طرق أو أشكال دفاع المرأة ضد القهر والاستلاب؟

### متغيرات الدراسة :

- المتغير المستقل : القهر والاستلاب
- المتغير التابع : وقوع القهر والاستلاب على المرأة

مجتمع الدراسة : المرأة في المجتمعات العربية (الاردن تحديدا) .

زمن الدراسة : الاعوام من (2012-2019).

### الادوات المستخدمة في البحث:

وقد تم استخدام اسلوب الملاحظة وتحليل الواقع، واستخدام المراجع المختلفة والتي تتناسب وموضوع البحث للوصول الى النتائج النهائية والتوصيات. يمكن لنا ان نعتبر بأن المنهج الوصفي هو أحد المناهج المتخصصة بالبحث العلمي، ويعد من اكثر المناهج التي يتم استخدامها في البحث العلمي حالياً، ويرجع السبب في ذلك الى انه يقوم بدراسة الظاهرة مع رصدها كما في الواقع، وتمكننا هذه الطريقة من التعرف على كافة الأسباب والعوامل المساهمة بحدوث الظاهرة، وذلك لنتمكن من الوصول لكافة الحلول الممكنة للظاهرة او المشكلة قيد الدراسة، وهي كذلك تمكن الباحث من تحليل الظاهرة التي يقوم بدراستها، وكذلك تمكنه من المقارنة بينها وبين كافة الظواهر الأخرى، والتي تتعلق بها لكي يتم تفسيرها وأيضاً تحليلها، وبالتالي يمكن لنا ان نستخلص الدروس والحلول بشكل واقعي مدروس.

ويمكن لنا تعريف المنهج الوصفي التحليلي بأنه الأسلوب او الطريقة التي يتبعها الباحث العلمي في دراسة مشكلة او ظاهرة معينة، ويكون ذلك معتمداً على الوصف بأسلوب علمي، ويكون الهدف من ذلك هو الوصول بالدراسة الى تفسيرات ودلالات منطقية، يمكن لنا اثباتها بالدلائل والبراهين، ولهذا الأمر له أثر مهم وواضح في تعزيز قدرات الباحث العلمي على تحديد مشكلة أو ظاهرة البحث ووضعها في أطارها المناسب.

ويمكن أن نعرفها بأنه المنهج الذي يقوم من خلاله الباحث من وصف الظاهرة او المشكلة الدراسية، كما هي في الحقيقة والواقع وذلك بدون ادخال اي اضافات او متغيرات غير موجوده على ارض الواقع، فيقوم الباحث بدراسة الماهية دون التطرق للكيفية، وهذا ما يساعد على وصول الدراسة العلمية لنتائج صحيحة ودقيقة مثبتة بالدلة والبراهين.

خطوات المنهج الوصفي التحليلي:

يمكن تصنيف خطوات المنهج التحليلي الوصفي كالتالي:

- تحديد المشكلة، من خلال الشعور بها.
- وضع الفرضيات، على شكل تساؤلات متعلقة بالمشكلة قيد الدراسة.
- تعيين متغيرات الدراسة من حيث المتغير المستقل والتابع، وجمع كافة المعلومات التي الضرورية للبحث العلمي.

- اختيار عينة الدراسة، ويتم ذلك من خلال تحديدها بدقة، بحيث تكون مناسبة للموضوع قيد الدراسة، وكذلك اختيار الزمن المناسب.
- تحديد الأدوات المستخدمة في البحث، ويوجد انواع متعددة منها الملاحظة والاختبارات والاستبيانات وغيرها.
- جمع المعلومات والبيانات المتعلقة بالموضوع الخاص بالبحث، ولا بد على الباحث أن يراعي الدقة خلال جمع المعلومات.
- الوصول للنتائج، وتعتبر هذه الخطوة كملخص لما توصل له الباحث من خلال بحثه ومراعاة التحليل.

#### الدراسات السابقة:

رائدة أيوب، 2010، الجدوى الاجتماعية للمشاريع المتناهية الصغر وتأثيرها على النساء في الريف السوري، "اطروحة دكتوراه"، وتدرس مدى مصداقية المعادلة القائلة أن أساس التمكين الاجتماعي للمرأة هو التمكين الاقتصادي، وقد توصلت الدراسة لعدد من النتائج أهمها: ان الملامح المجتمعية السائدة في القرية وانعكاساتها، لها الأثر الكبير في تمكين المرأة، كما تعد المشاريع الصغيرة من الادوات التي تستخدم لتمكين المرأة الاقتصادي.

د.رقية البدارين، د. فريد محمد القواسمي، 2013، دور المرأة في قيادة التغيير: دراسة تطبيقية على منظمات المرأة العاملة في الاردن، دراسة مقدمة ل (مركز البلقاء للبحوث والدراسات)، وقد اهتم الباحثان بدراسة أهم المعوقات التي تضعف من قدرة المرأة الأردنية على قيادة التغيير بشكل فعال فكانت نتائج الدراسة ان المرأة الاردنية تتمتع بمهارات قيادية عالية ومميزة توجب تمكينها كي تتقلد المناصب القيادية الرفيعة الخاصة والعامه، وذلك لقدرتها على ادارة التغيير التنظيمي وقيادته.

خيرى حسان، 2009، الأبعاد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والنفسية لظاهرة العنف ضد المرأة، بحث للدكتور خيرى حسان السيد، نشر في حوليات اداب عين شمس، وقد اعتمد المنهج الوصفي التحليلي، وحيث طبق على عينة مقدارها 150 امرأة من احياء القاهرة، وقد تناول الباحث العنف الأسري بصفة عامة، والعنف ضد المرأة بصفة خاصة، بوصفها مشكلة لها اثار نفسية سلبية تهدد كيان الأسرة، وتوصلت الدراسة الى العنف سلوك متعلم اجتماعي، وان المرأة التي لا تعمل قد يعرضها ذلك الى ان تصبح أكثر عرضة للعنف

بالإضافة الى أن المعايير الثقافية والعادات المجتمعية تشجع ظاهرة العنف ضد المرأة، وكانت الدراسة قد شددت على ظاهرة التنشئة الاجتماعية التي تفرض عليها احترام زوجها، احتراماً لا يجعلها ترفض له أي أمر وأن تطيعه طاعة عمياء، وأن تسكت عن الأساءة التي قد يمارسها عليها باعتباره رمزاً للسلطة الأبوية والذكورية عليها، والى ان الغيرة الشديدة دور الثقافة والتنشئة في تنمية مفهوم العنف وعدم كفاية الدخل والبطالة أحد أهم أسباب العنف ضد المرأة.

سليمان ومجد حماد، 2006، دراسة جهود مكافحة العنف ضد المرأة في الاردن، وتعتبر هذه الدراسة محاولة تحليلية نقدية للوقوف على تجربة الأردن في التعامل مع ظاهرة العنف ضد المرأة، ويمكن الاستفادة منها في التركيز على دور التنشئة الاجتماعية وقيم المجتمع وموروثاته التي تساعد على ترسيخ فكرة المرأة الضعيفة، التي تؤسس لظاهرة العنف ضدها وكانت الدراسة هذه أوصت بتعديل قانون الأحوال الشخصية الأردنية ن وإقرار قانون العقوبات.

مركز التنمية والتغذية الريفي (2006)، دراسة العنف الأسري ضد المرأة الأسباب والمعالجات، وقد هدفت الدراسة الى التعرف الى حجم العنف الأسري ضد المرأة في المجتمع السوداني، وأسباب العنف ضد المرأة وإيجاد المعالجات، وقد اتبعت الدراسة منهج الاستبانة، وخلصت الى اهمية الاعتراف بظاهرة العنف ضد المرأة، وأنه ينبغي للمؤسسات الخاصة والحكومات والاعلام والمؤسسات الدينية، تحمّل مسؤولية في مكافحة العنف ضد المرأة، ولا يوجد مهرب من التطبيق الكامل لاتفاقية القضاء على التمييز والعنف الدولية ضد المرأة، وقد بينت أسباب العنف ضد المرأة وسبب عدم حصولها على الفرص والموارد ذاتها التي يحصل عليها الرجل كالتعليم والعمل، كما أن عدم وجود قوانين رادعة وعقوبات مانعة وضعف ثقة المرأة بنفسها، وخضوعها للرجل وقرارته كلها أبواب تؤدي الى ازدياد العنف ضد المرأة.

## ملاح وضعية القهر:

حيث أن المرأة هي مرآة للظلم والقهر الواقع على الرجل فهو يعكس كل اشكال الظلم الواقعة عليه، ويطبّقها على المرأة وقد تكون تلك هي الوسيلة الدفاعية للرجل، والتي تشعره بأهميته وقيّمته، كما أنها وسيلة لتفريغ هذه المشاعر والاحباطات والقهر، قد تختلف الطبقات الاجتماعية في المجتمع عادة، ولكنها مجتملاً تقسم الى ثلاث طبقات وهي الدنيا والوسطى والعليا، وتختلف في خصائصها ومميزتها الاجتماعية، ولكنها تتفق في أنها تقهر المرأة وتسلبها حقها في الواقع، ولعل اكثر الطبقات التي يحدث بها سلب وقهر للمرأة هي الدنيا،

وذلك لعدة أسباب لعل أهمها الظلم والقهر الواقع على الرجل اقتصاديا واجتماعيا، فيعكسه على المرأة، كما أن المرأة في الطبقة العليا لا تتعدى كونها أداة لتحقيق المصالح والمصاهرة ودمية لإبراز مكانة وأهمية عائلتها الاقتصادية والاجتماعية، اما المرأة في الطبقة الوسطى، فهي أكثر من تمثل وجود الصراع لنيل التحرر من القهر والاستلاب الواقع عليها وما يرافقه من مشاكل وتناقضات قد تقع بها، وفيما يلي عرض لكل طبقة من الطبقات في التفصيل.

#### المرأة في الطبقة المتدنية اجتماعيا واقتصاديا :

ان هذا التحديد الواضح والمتناسق للأدوار بين الرجل والمرأة في هذا الوسط أمر يستحق الاهتمام والتعجب، فهو يتكامل من خلال التناقض بين كلا الدورين، فكلاهما يتم الآخر وظيفيا، وهذا الامر يحدث التوازن المطلوب في مثل هذه الطبقة الاجتماعية، وهم يتفوقون على القيام بالدفاع الممنهج ضد وضعية القهر، التي يعيشون تحتها، فهم سواء رجال او نساء يعيشون في وضعية ضغط وقهر اجتماعي، لعل المسبب الأول له هو الوضع الاقتصادي المتدني، ونقص التعليم، والبطالة.

ولعل من أبرز الطرق التي يلجأون اليها للدفاع عن أنفسهم، هو تضخيم مكانة ودور الرجل في عائلته، فهو القوي الشجاع الذي لا يهزم، القادر على ان يخرق الجبال، ويهد الصخور، ويجوب البحار، وفي بعض الأحيان، يضيفون اليه صفات وهمية كبيرة، فهو الذي يتحمل المرض والجوع هو الذي يضحي من أجل لقمة العيش، فهو لا يشكو ولا يتذمر أبدا، كما يبالغون في تصوير عدوانيته، وغضبه، ويحاولون ان لا يجعلوه يغضب لخوفهم من هذا الغضب والعدوانية، أما المرأة فهي تتحمل كل هذه المهانة وصفات الضعف والخوف والجبن، والكذب، والعجز والقهر المرافقتان لها دائما.

ولعل السبب في ذلك يرجع على أن الرجل في هذه الطبقة هو في الغالب من يواجه العالم خارج المنزل، ويتصل به بما يمثله من فرص وتحديات او حتى تهديدات لهذا الرجل ولكيان عائلته، سواء تحديات مادية او اجتماعية أو غيرها، ولهذا فهو يحتاج الى طاقة تعباً وتشحن باستمرار ليتمكن من المواجهة والصمود، ولعلها طريقة ليتغلب ببعض الاحيان على نقص المقومات والصفات الحقيقية لديه، ولا بد للرجل ان يرفض كل مظاهر الضعف والخنوع والمذلة، والعجز وقلة التدبير، وهذه الطريقة في الواقع تعطي الشعور بالأمان للأسرة، فلا تشعر بالقلق او وجود تهديد حقيقي يتعرض لكيانها، فمعيها قوي يشعرها بوجود السند والكتف

الذي يحميها، ولا تشعر بأنها معرأة دون سند أو حماية، فالرجل هو الامان والحماية وعنصر المواجهة الأساسي مع العالم الخارجي بهذه الطبقة الاجتماعية.

ولكي يتم هذا الشحن للرجل فإنه يتم تحويله الى أسطورة في الكفاح والكفاءة، واسقاط صفتي الضعف والهوان على المرأة، فلا يتصور عقلهم ان حامي الاسرة يمتاز بالضعف او الهوان، فهذا امر مرفوض عقليا ونفسيا، فتلعب المرأة دور المعبرة عن المأساة والتي تنطق وترزح تحت وطأة المعاناة، فهي المرأة القاصر التي تحتاج للوصاية، وهي من تلعب دور العاجزة التي لا قدرة لديها ولا كفاءة في تقرير مصيرها، فتلجأ للدعاء والتوسل الى الله، دون مقدرة او رغبته منها بالمبادرة لأيجاد الحلول، او تلجأ للشتم والصراخ والتلمي بنزول اللعنات على الآخرين أو الضروف التي تحيط بها، وفي المقابل نجد عقلانية الرجل ورغبته ومبادرته دائما لأيجاد الحلول والتصرف بشيء من الحكمة في المشاكل والمواقف الحياتية المختلفة، فهي دائما تحكم عاطفتها كما يراها الرجل، وهو يحكم عقله وتفكيره قبل العاطفة، وبسبب ذلك لإنالرجل يطلب ويامر المرأة في تلك الأوساط بأن تلزم بيتها، ومحيطها الاجتماعي الصغير والمحصور ضمن اسوار المنزل او العائلة والأقارب، وألا تقترب من العالم الخارجي، والحياة الرحبة الواسعة، فهو يرى بأن هذه الحياة هي حكر على الرجل فقط لمقدرته وقوته، الذي تختلف اختلاف كبير عن ضعف وعاطفية المرأة.

ففي مقابل قوة الرجل وذكورته وسيطرته، يوكل اليها تمثيل المازوشية، والرضوخ والأستسلام للأقدار، وفي مقابل كبرياء الرجل، وتضخم أعتاده بنفسه وعنفوانه، يوكل اليها أن دور التعبير عن العيب والعار الى السترة، وبمقدار تهديد مكانة الرجل في الخارج، تتعزز قوته داخل المنزل لأسباب تعويضية دفاعية، فهو السيد مسموع الكلمة، و السلطة التي لا تناقش وهي التابع والخاضع، وخادمة السيد، فبمقدار انكارنا المعاناة عند الرجل، فأننا نفجرها عند المرأة.<sup>1</sup>

وبناء على ذلك يحدث هذا الانقسام النصف في الأدوار داخل الأسرة من أدوار للرجل ، وأدوار خاصة في المرأة فقط ، ويمكن تلخيص هذه الأدوار على الشكل التالي:

❖ أدوار خاصة في الرجل: فالرجل يحتل مركز القوة في العائلة، فهو عمود المنزل الرئيسي، فهو السيد الذي يستغل المرأة ويستعبدها، ويحولها إلى أداة لخدمته ورعايته، ويقوم بمراقبتها، وهي وعاء لتتجب له

<sup>1</sup>د.مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، مدخل الى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص 204

الأطفال، وتربيتهم وتعنتي بهم، ويفضل ان تنجب له الذكور، فيحولها الى وعاء لزيادة قوته الذكورية، ولا يهتم الا لرغباته ومكانته بشكل أناني، فلا يراعي حاجات أو رغبات المرأة، قد يسبب للمرأة الغين النفسي، من خلال تصرفاته وسلوكياته دون أي اهتمام منه، يحاول تحقيق ذاته وتعزيز مكانته، ولا يلتفت الى المرأة بأي شكل من الأشكال في المجلد.

❖ أدوار خاصة في المرأة: فالمرأة تحتل مركز الضعف والمهانة في العائلة، فهي في الحقبة ينكر المجتمع والأسرة وجودها أو دورها، او في أفضل الحالات يعمل على تسخيفه والتقليل من شأنه، فتصل بسبب ذلك الى أقصى درجات القهر، فمنذ الولادة يقابلها المجتمع بالحزن والتذمر والتبرم، وفي بعض العائلات عند ولادتها يعلن عن رفضهم الصريح لوجودها، ويضعونها في مرتبة أقل من أخيها الذكر، فهي لا تأخذ اي قيمة وتتحول الى خادمة للأب والأخوة ومن بعدهم الزوج، ويمارسون عليها سلطتهم الذكورية، من خلال الوصاية عليها، وذلك بهدف حمايتها حسب زعمهم، وتفرض كل القيود عليها أسريا واجتماعيا عند بلوغها، وتتحول لأداة للمصاهرة والنسب، فتصبح في منزل زوجها ذو قيمة منخفضة تتقن الأعمال المنزلية، وارضاء رغبات زوجها، وانجاب الأطفال والاعتناء بهم، مقابل الحماية والسترة والإعالة لها، فيفرض عليها موت نفسي ومعنوي بطيء، وقد لا يتخذ هذا الشكل اللفظ دائما، ولكنه موجود لدى هذه الطبقة بالمجلد بهذه الطريقة وأن اختلفت بعض الظروف.

وعندما تختل هذه الأدوار فقد يصاب توازن الأسرة بالخطر، الذي يهدد كيانها ووجودها، وذلك يحدث عند عجز الرجل في الحفاظ على مظاهر القوة التي من المفترض وجودها فيه، فتتحول المرأة الى لعب دور الرجل، وتعيش هذه الطبقة في خوف وقلق حقيقي وكبير من أن تتحول المرأة للعب دور الرجل، فالرجل يقوم على تعويض كل قهره ومهانتة التي يتعرض لها الى لعب دور السي سيد، والرجل القوي الخارق، فذلك هو السبيل الوحيد أمام الرجل المقهور ليشكل دفاعه ضد القهر والعدوان الذي يتعرض له، فهو لا يستطيع ان يواجه القهر الاجتماعي من أصحاب الطبقات العليا، ولا مواجهة القهر الاقتصادي من قبل أصحاب العمل وتبخيسهم أجره، وقدرتهم على الاستغناء عن خدماته في أي وقت، فيقوم هو بإسقاط كل هذه المشاكل على المرأة، وكما يحملها سبب عدم قدرتها على أسعاده وانجاب الذكور له، فهو الرجل المتخلف والكسول، والأمي، والفقير، والمعدم، وغيرها من الصفات التي تقلل من شأنه والتي يتعرض لها في خارج المنزل. كما أن القوانين والأنظمة والاعراف هي قيد على المرأة وسلاح بيد الرجل، فهي سلاح يسلط على الرجل من قبل

المتسلط والذي يحمل المكانة العالية اجتماعيا واقتصاديا، فهي تلجم كل محاولات التغيير الذي تخيف المتسلط وتهدد وجوده، تماما كتلك الطرق التي تستخدم لكبح ومحاولة منع اي تغيير او تمرد من النساء على الأدوار المناطة بهن.

فالمراة يفرض عليها ان تلعب وتمثل دور المقهورة والمسلوقة الارادة، وذلك ليتمكن الرجل المقهور أصلا من الحفاظ على توازنه النفسي ، وكبريائه الظاهري، وما تعانيه المراة من كبت وقهر واستغلال وعنف لفظي وجسدي ونفسي واجتماعي، هو ذاته الذي يعانيه الرجل الكادح في الطبقة الدنيا ، فالمراة تعاني بشكل واضح وصيح، بينما الرجل يعاني بشكل ضمني مستتر، لايمكن ان يتبين بسهولة ولكنه موجود حقيقة.

### المراة في الطبقة الوسطى اجتماعيا واقتصاديا:

أن مشكلة المراة والتي تطرح بكل حضورها وأهميتها في هذه الفئة، أكثر منها في الفئة المتدنية اجتماعيا، أو الفئة العليا اجتماعيا، وذلك بسبب مرونة تلك الطبقة، وقدرتها على التكيف مع التغييرات، وسعيها الجاد والدؤوب للحصول على التغييرات، والوصول الى التقدم والرقي المنشود، وذلك على العكس من الطبقتين الاخرتين والتي تلعب فيهما المراة ادوار جامدة ومحددة ومقيدة.

فالمراة في هذه الطبقة سمح لها واعطيت الحرية النسبية، في أن تخرج من سجنها المنزلي التقليدي، فأصبحت تأخذ قسطا من التعليم، وان تفاوت بين النساء في مكانته، ونسبته، وكيفيته، ولكنه في النهاية تحصيل علمي يسهم في رفع مكانة المراة، ومن ثم يتيح لها أن تبدأ في حياتها المنتجة، وتساهم وتشارك الرجل الأعباء والمسئوليات داخل وخارج الأسرة والمنزل، وهذا الأمر ساهم في زيادة الوعي لدى الرجل بأهمية ودور المراة في مشاركتها، ولقد وعي الرجل لأهمية تنمية وزيادة قدرات المراة، وتنمية شخصيتها، وبناء كيانها الذاتي، الذي يسهم في ارتقاء الرجل، فلايمكن ان يحدث اي ارتقاء للرجل بدون المراة، ومهما توقع الرجل على عكس ذلك، فطالما ان المراة لم تتطور وترتقي، لإن أي ارتقاء او تطور للرجل سيبقى سطحيا وجزئيا، وغير مكتمل ولا يمكن له أن يكتمل دون تطور وأرتقاء المراة، فالرقي والتطور ليس شيء يلحق ويعلم بل هو أمر مكتسب

من خلال الممارسة ومنذ الطفولة، وتعززه الدراسة والتعليم، وتزيده عمل المرأة وخروجها للحياة خارج أسوار منزلها، فهي من سوف تربي الاطفال وتنشئ جيل المستقبل، فتربي الأطفال وتغرس هذه القيم في أنفسهم ويتشربونها منها، فتعدهم الأعداد السليم ليكونوا عناصر فاعلة في المجتمع، ومن هنا تظهر الخطورة الكبيرة لدور المرأة وأهميته، فهي اذا كانت متخلفة فستغرس وتنمي في الطفل بذور الخرافة والجهل، فهي سوف تعطيه انطباع عن العالم بأنه سحري انفعالي، تحيطه الأوهام من كل جانب، مما يحرمه من فرصة السيطرة على الطبيعة والنمو الانفعالي والعقلي بشكل منطقي سليم، ولذلك يصبح قول ان رقي الرجل وتقدمه ومن ثم المجتمع هو رهن للمرأة وتقدمها بشكل أساسي، فالمرأة المقيدة والاسيرة للعادات والتقاليد والاعراف المجتمعية، وغير القادرة على ان تكون منتجة اجتماعيا واقتصاديا، تكون في الحقيقة مقيدة وسالبة لانطلاقة وتقدم الرجل كذلك، مما يؤثر على تقدم وانطلاق المجتمع ككل بشكل سلبي.

ولكن المرأة في مجتمعاتنا المتخلفة، والتي ما زالت في طور النمو، تعاني بقايا من ماضي يؤثر في تفكير وتطلعات افراد كلا الجنسين، فأن هذا المجتمع يعاني من خلل في توزيع الأدوار، كما ان المكانة الاجتماعية الاقتصادية لكل من الرجل والمرأة ليست واضحة المعالم، او محددة، فهي تتصف بالغموض، فالمرأة تتوق إلى الإنطلاق، وتعني ضرورته وحققها فيه، والرجل يتوق ايضا للانطلاق له ولقرينته، ولكن كلاهما ما زال أسير قيود تكبله من الداخل وأساس بنية شخصيته، وتحتاج للتخلص منها الى مغالبة شديدة للنفس، فالمرأة تريد أن تنطلق، ولكنها لا تجرؤ على طرح قضيتها جذريا، والحق يقال أن الرجل لا يشجعها على هذا الطرح الذي يضعه هو في المقام الأول في موضع التساؤل، ولا بد ان يدفع به إلى إعادة النظر بوضعيته وأسلوب علاقته بها".<sup>2</sup>

فالمرأة هي رهينة لعملية تشريط مزمن، فهي قد تعودت على لعب دور الضحية، او الشخصية المستلبة الأرادة، فهي اداة يتم تطويعها وتنشئتها لتقوم بتنفيذ هذه الأدوار المحددة لها من دون أي اعتراض أو رفض، وترى ان هذا الدور هو دورها الصحيح الطبيعي، وهذا الوضع يرضيها نفسيا، ولكن مع التطورات التي حصلت وخروج المرأة خارج أسوار المنزل للعمل والتعليم، لم يعد هذا الدور يرضيها على مستوى الوعي بكيانها والوعي بحقوقها، فالرجل بهذه الطبقة يتحدث عن دور المرأة واهمية تحريرها، وضرورة ان تأخذ الدور الحقيقي لها، ولكنه في نفس الوقت يرفض أن يتنازل عن حقوقه بكل سهولة، ويرفض أن يكون تحرر أو

<sup>2</sup>المرجع السابق، ص221، ص208

تحرير المرأة قريبا من نساء بيته، أو يخشى من تحريرهن بشكل كبير، وهذا الأمر يسبب لكل من الرجل والمرأة صراعات نفسية أو اجتماعية كبيرة، تؤثر على حياتهم، فتؤدي لتناقضات داخلية فتؤثر على علاقته بشكل كبير، فالمرأة تحررت من حيث المظهر والملبس والكلام، ولكنها داخليا وفكريا في داخل اعماقها هي ما زالت مقيدة يجب أن تحافظ على نفسها وشرفها وسمعتها.

أي ان الرجل يريد ما كان لأسلافه من امتيازات وحكم وتحكم بشؤون المرأة، مع ادعائه أنه مع اعطائها كل حقوقها، فيقوم بعمل تغييرات بسيطة، وسطحية ولا قيمة لها، وفي نفس الوقت فإن المرأة ما زالت تخشى أن تكون في مقدمة المطالبين في حقوقها، أو أن تغيير من واقعها الحالي، فهي تخشى من أن تتحمل مسؤولية نفسها، أو ان تتحمل عواقب ونتائج مطالبها بحقوقها، فهي تربت منذ نعومة أظفارها على الخوف وان تخشى التغيير، وذلك لكي تبقى في حالة تبعية دائمة للرجل، سواء الأب أو الأخ أو الزوج وحتى الأبن، فهي تجد في تلك التبعية سلام داخلي، وشعور كبير في الراحة وعدم الخوف، فهي تعتبر نفسها في منطقتها الأمنة لها، فلا ترغب في التغيير لما تخشاه من مخاطر أو صعوبات لا تعلم عتها شيئا.

فهي تخشى من مواجهة الرجال وأن يسيئوا الظن بها، وخاصة من الرجال الذين لم يأمنوا بعد بضرورة تحرر المرأة وأهميته، ومن الذين يحبون أن يحافظوا على أمتيازاتهم، فنجد أن المرأة قد تراجعت وعادت للعب ادوارها التاريخية التي تستلب أرائها وكيانها وتعطل تقدم المجتمع وتطوره، فهي تتردد وتخشى كثيرا امام التحديات والعقبات التي تواجهها، فتكفي الى قواعد الامنة، وتحديدا كون المرأة غير متأكدة من تحقيق النجاح أو التقدم المطلوب لنيل حقوقها، فتخشى أن تدفع الثمن من وقتها وجهدها، وأن تخاطر بسمعتها حيث سيتهاهمها المعارضون لنهجها بأخلاقها وتسوء سمعتها، وقد تنهم بشرفها.

ولكنها بعد هذه الانتكاسة والتفوق تعود الى محاولاتها، فتملى نفسها وتشحنها لمحاولة الثورة ورفض هذه المحاولات المستمرة التي وضعتها في موقف التابع أو العبد في بعض الأحيان، فتشعر أن ماضيها طويل مثقل، وأن حاضرها صعب ممتلى في المصاعب، فتشبه نفسها، بأنها عبد يجب عليه التحرر والمقاومة، للوصول الى حريته المنشودة، فهي في مجتمع ينظر اليها في الغالب كتابع يجب عليه أن يكون تحت الولاية والرقابة، فهي مسلوبة الكيان، مقهورة الفكر وحرية التصرف، تتصرف كألة أو ادة في يد الرجل بعيدا عن أنسانيتها، وفي هذه المرحلة تنتج المرأة عادة ردود فعل على شكل تصرفات متعصبة ومتشنجة فترفض كل قيم

وأعراف المجتمع، وإن لم يكن الكل فهي ترفض معظمها، فترفض دورها التقليدي المتعارف عليه، بأن مكانها هو فقط المنزل وتربية الأبناء والسعي الدائم لرضا الزوج وتحقيق رغباته، فتسعى جاهدة لتغييره من خلال رفضها أن تكون مستلبة اقتصادياً، فنتجه للعمل بشكل كبير، وتشارك اقتصادياً في المنزل، وقد تصل في بعض الأحيان أن ترفض الاستلاب الجنسي التي تعاني منه فتثور على الأنوثة بشكل كامل، فتحاول أن تتماهى بتصرفاتها مع هذا الرفض، فتغيير بشكلها وملبسها وطريقة كلامها وتعاملها، فهي ترى أمامها أن الرجل هو نموذج للتحرر والانطلاق، فنقوم بتقليده، ومع الأسف لأنه بهذه الحالة فإن المرأة هي من تقوم بأستلاب ذاتها، فلا تريح أن تكون رجلاً لأنه أمر غير ممكن خاصة على الصعيد البيولوجي، وكذلك تكون قد خسرت أنوثتها، وتخسر كسب وتأييد أعضاء المجتمع أو جزء منهم، كان ممكن أن يكونوا مؤيدين لها، وفي حالات أخرى فإن المرأة تكون تتأرجح بين حالة الأفراط بالأهتمام بأنوثتها واستغلال هذه الأنوثة، فقد تشبه بالمرأة الغانية لفترة، ومن ثم تعود للعب دور المسترجلة الراضية للأنوثة والمستكرة لها، وبعض النساء يعشن الدور الأنثوي ضاهرياً، ولكن يرفضن هذا الدور بشكل داخلي فيرفضن الدخول في العلاقات الحميمة كرد فعل على الأستلاب الجنسي الواقع عليهن من قبل المجتمع والعائلة ونوع من التمرد على هذه الأعراف التي لا يمكن تغييرها.

### المرأة في الطبقة العليا اجتماعياً واقتصادياً :

قد لا تعاني المرأة في هذه الطبقة من القهر في معناه الاقتصادي ولكنها تعاني من نوع آخر من القهر، فهذه المرأة التي يعمل الجميع علي خدمتها، فتجد من يهتم في شؤون منزلها، من تنظيف وترتيب، ومن يقوم بالطبخ عنها، ولديها القدره على ان تأتي بمربيات لأطفالها للاعتناء بهم والقيام على تربيتهم وخدمتهم، فهي امرأة يسهل عليها ان تطوع كافة احتياجاتها وان تلبى كافة طلباتها، ولكن هذه المرأة مع كل هذه الرفاهية التي تعيش بها والتي قد يحسدها عليها البعض وخاصة من نساء الطبقة الدنيا او المتوسطه تعاني من أستلاب من نوع اخر فهي مطموسة الهوية مسيرة لحساب مكانة الأسرة، ورسم لها ادوار محددة جامدة لا تستطيع التخلي عنها، فهي مأسورة في اسرة وزوج يحتمون في حقوقهم التاريخية وكذلك بقدرتهم المادية، فهم الذين ينفقون عليها، وهي عليها السمع والطاعة وان تلعب الأدوار التي أعدت لها مسبقاً، واذا ما حاولت التمرد تتعرض للنبد من العائلة والزوج، ومن ثم النبد من أفراد هذه الطبقة، التي تعني لها المظاهر الاجتماعية والطبقية أهمية كبرى لا يمكن تجاهلها في أي حال من الأحوال.

فالمرأة حياتها لأسرتها فهي من تقوم على الحفاظ على العادات والتقاليد في الأسرة، وتعزز مكانة الاسرة الاجتماعية من خلال اهتمامها وتمسكها بالمظاهر الاجتماعية من خلال الحفلات الاجتماعية والمناسبات العائلية، وتكون بارعه جدا في القيام بهذا الدور، فهي من تقوم بأظهار هذا الدور بشكل كبير من خلال اهتمامها بنفسها فتهتم بجمالها وتنفق عليه الكثير من الوقت والجهد وبالطبع المال، كما تتبارى في اقتناء كل جديد وثمانين من المجوهرات والملابس الفخمه، وكذلك تتبارى ان تظهر نفسها بأفضل شكل امام النساء الاخريات، فهي المرأة الفناع التي تتمسك بهذا الدور وترفض ان تتخلى عنه خشية من ان تفقد امنياتها التي لديها، كما أنها اداة المصاهرة بين العائلات والأسر في هذه الطبقات، فتزيد من جاه الأسر ومكانتها فتضم النفوذ الى المال والعكس، او تجمع بين الأثنين فتصبح اهميتها مقتصره على انها جامعه لمكانة زوجها ونفوذه، وكذلك لوضع اسرتها ومكانتها الماليه، فالزواج لديها هو رصيد في البنك وأملاك جديده، ونفوذ اقوى وعلاقات اجتماعية اكثر، وبعد هذه المصاهرة تحرص المرأة على ان تظهر هذه المكانة الجامعة للزوج وعائلتها فتزيد في التباهي والقيام بالحفلات الاجتماعية، وكذلك قد تلجأ بعض النساء في هذه الطبقة الى القيام بالاعمال الانسانية ويكون هدفها الشهرة والدعاية لأسرتها او تحقيق مكاسب لزوجها تكون اما اجتماعية او اقتصادية، وقد تكون اقتصادية سياسة خاصة حين ترشحه للانتخابات وغيرها.

والرجل يرحب بهذه الأدوار التي تقوم المرأة بتأديتها وذلك لأنها تحقق له المكاسب الاجتماعية من خلال الحفلات التي تعقد بها الصفقات التجارية، او ترسيخ مكانة الاسرة بالنسب والمصاهرة والتي لا يمكن ان تحدث بدون المرأة والتي تجمع بين مكانتين ونفوذتين بالعادة نفوذ الزوج ومكانته بالإضافة لنفوذ ومكانة اسرتها، وتعزز كذلك من السطوة النفسية للرجل وترضي غروره من خلال اهتمامها بنفسها ومظهرها فالرجل يتباهى بمدى جمال زوجته وعصرية ملابسها وتعاملها بطريقة ارسنقراطية راقية، ولايمانع في ان ينفق المال الكثير مقابل ذلك، فهي الدمية التي امتلكها والتي يسعى ان يحافظ عليها بكافة الطرق والوسائل المتاحة له.

وفي الواقع فأن اقتصار دور المرأة في هذه الطبقة فقط على ما سبق ذكره، فيه الظلم الكثير للمرأة، وللمجتمع، فهي بما لديها من امكانيات مادية واجتماعية، ونفوذ كبير قادرة على أن تغيير الواقع الاجتماعي والاقتصادي للمرأة، وان تساهم بشكل كبير في تحرير المرأة، وازالة الغبن الكبير والاستلاب الواقع عليها من قبل الرجل

والمجتمع، ولكنها مع هذا التتميط لدورها وشخصيتها وحصره في الأهتمام بمظهرها، او ابراز المكانة الاجتماعية لنفسها وأسرتها من خلال الحفلات الاجتماعية، والمناسبات المختلفة، خسرت في المجمل هذا الدور الذي يمكن أن تساهم به.

### أوجه القهر والاستلاب:

أن القهر والاستلاب الذي تتعرض له المرأة في مجتمعنا متعدد ومتشعب، ويكاد يكون في كل مجالات ووجه الحياة ، ولكن لسهولة تناولها ودراستها جرى العرف عادة أن يتم تقسيمها الى ثلاث أوجه وهي الاستلاب الأقتصادي، والاستلاب الجنسي، والاستلاب الاجتماعي، وسيتم عرضهم تاليا بشيء من التفصيل.

### الاستلاب الاقتصادي

ان للوضع الاقتصادي والعمل مكانة كبيرة فهي التي تجعل الفرد يشعر بكيانه ووجوده، وهي التي تحقق له الاستقلال المادي، فيتمكن من تأمين لقمة العيش له، وان يكفي حاجاته الرئيسية على الاقل، ومن ثم يبحث عن تحقيق الحاجات الترفيهية والكمالية، وهي مختلفة من مكان الى اخر، ومن طبقة اجتماعية الى اخرى.

وقد كان للمرأة منذ فجر التاريخ الدور الكبير اقتصاديا فهي كانت تشارك الرجل في الصيد بالغابات، وتشاركه كذلك في جمع الثمار من الشجر، وكانت تشارك في الزراعة في بدايات التطور الذي حصل عند اكتشاف الزراعة، من ثم بعد اكتشاف الزراعة، اصبحت المرأة منحصرة اكثر في العمل داخل المنزل، واصبح للرجل الفضل في العمل خارج المنزل واعالة الزوجة والابناء، واقتصرت مهمتها على القيام بالاعمال المنزلية وانجاب الابناء، وان شاركت المرأة في أي من الأعمال الاقتصادية فهي كانت تشارك تحت أمره الرجل وسيطرته، فهو المالك وهو الذي يورث المال والارض، والتي تذهب في المجمل الى الابناء الذكور الذين يعترف بهم ويورثهم اسمه وماله، فيصبحوا ابناء شرعيين، وبقي الامر على هذا المنحى ومتعارف عليه، الى ان بدأت الثورة الصناعية، ومارافقها من حربين عالميتين، الفاصل الزمني بينهما صغير، فالحرب اخذت معها الشباب والرجال، واصبحت اغلب المدن والقرى في العالم، فقط تحتوي على نساء واطفال وعجزة، فبرعت المرأة في القيام بمختلف الاعمال، وذلك لسد العجز الحاصل من غياب الرجال للعمل، وقد عملن في مصانع الذخيرة ، وفي صناعة ملابس الرجال، وكذلك عملنا في التمريض بشكل كبير وشكلنا الغالبية العظمى من النساء اللواتي عملن في التمريض، حيث ان البحرية الامريكية وحدها سجلت 1200 سيدة

للمعمل كممرضات خلال الحرب العالمية الاولى، وراح منهن 400 ضحية<sup>3</sup>، وبعد الحرب العالمية وخاصة في الدول الأوروبية والولايات المتحدة، أصبح خروج المرأة الى العمل والمشارك الاقتصادية، وان كان خجولا الى انه أصبح امرا واقع لا مجال لانكاره، فأصبحت تعمل وان كانت في الاعمال المتدنية والتي لاحتاج لمهارات كبيرة، كالكاتبة والسكرتارية، ومدبرة المنزل او في اعمال نمطية كمعلمة وممرضة فقط، ولم يكن بإمكانها أن تتولى الاعمال الكبرى والهامة، فقد كان ينظر لها على أنها اقل قدرة على ادارة مثل تلك الاعمال، فلم تتولى اي اعمال ادارية كبرى، ولم تتولى المناصب الكبرى داخل الشركات، ولم تتمكن من العمل داخل المصانع في البداية، فلقد عادت هذه الاعمال حكرًا على الرجل، ومع الوقت تأسست الحركات النسوية التي تدعم حقوق المرأة وتأمين في المساواة بينها وبين الرجل، تحسنت الاوضاع الاقتصادية للعمل فقد نادى بان تحصل المرأة على اجر مساو للرجل في العمل، وان لم تحقق هذا المطلب ولكن ارتفعت الاجور واصبحت قريبة للرجل، ونادت ايضا بأن تتولى المرأة المناصب الادارية وان تعمل بكافة الاعمال كالرجل فتحققت هذه المطالب، وان كانت بشكل اقل من الرجال.

اما المرأة في العالم النامي وخاصة العالم العربي، فهي والى الان لم تتمكن من تحقيق الاستقلال الاقتصادي الحقيقي مقارنة بالرجال، وما زالت تحت الوصاية الذكورية، فهي تجلس في المنزل وتقوم بالاعمال المنزلية، وتنتظر الرجل الذي يعمل خارج المنزل لينفق عليها ويعيلها، فهي شخص بنظر المجتمع مستهلك وليس منتج، وتتناسى هي والمجتمع، بأن حتى الاعمال المنزلية هي عمل منتج، ولكن هذا الامر قد حرم المرأة من تحقيق الاستقلال الاقتصادي فأصبحت مستلبة، تحت حماية ورحمة الرجل، ان شاء أنفق عليها، وان شاء لم ينفق، ولا يمكنها ان تخالف الرجل حتى لاتخسر حمايته وانفاقه عليها، وان خرجت المرأة للعمل فهي ما زالت تحت تأثير العقلية الذكورية الذي ينظر اليها على أنها تابع، فتأخذ الاعمال الثانوية والهامشية، ويضل الرجل هو الرئيس وهي المرؤوس، وتحصر فقط في اعمال السكرتاريا او التعليم او التمريض، ويفضل الأهل او الزوج، وتبعًا للنضرة الاجتماعية ان تعمل المرأة في أعمال بعيدا عن الاختلاط، اعتقادًا بأن هذا يخفض من قيمتهم ويدنس شرفهم، وما زال هذا الاعتقاد قائم الى اليوم لدى العديد من الطبقات الاجتماعية، وما زال العقل الذكوري يتصور أن المرأة لا تستطيع القيام بالاعمال الشاقة او التي تطلب جهدا بدنيا عاليا، او الاعمال التي تحتاج الى قدر كبير من العقل والذكاء، كالبحت العلمي، والاختراعات، ويرفضون بشكل كبير

<sup>3</sup>أيمن محمود، الحروب العالمية نقطة تحول في نظرة العالم للمرأة، صحيفة التحرير الجديد، 8/مارس/2015

مشاركة المرأة في الاعمال السياسية، وان شاركت فهي تشارك بشكل مخصص لها كالكوتا وغيرها، ومن النادر ان تنجح سيدة بشكر منفرد ومنافس للرجال في الوصول للبرلمان او المناصب السياسية.

وهذه الامور تعود الى قناعة الانسان المتخلف بدونية المرأة وبأنها اقل كفاءة من الرجل، وهذه القناعة تؤدي بدورها الى فقدان المرأة للثقة بنفسها مهنيا، مما يولد لديها عقدة انعدام الكفاءة الاجتماعية، وهذه العقدة متضخمة لدى المرأة نظرا لحشرها بأكثر الأماكن قهرا.<sup>4</sup>

وبناء على ما سبق يمكن ان نلخص ابرز الأسباب التي ادت لتخلف المرأة اقتصادياً، مشكلة احد اهم العوامل التي تقهر المرأة وهو العامل الاقتصادي كالتالي:

- ضعف إعداد المرأة منذ الطفولة تعليمياً ومهارتياً، فالمرأة منذ الطفولة تعد لتكون سيدة منزل، يهتم الاهل بتعليمها الاعمال المنزلية المختلفة، وان تتقن تلك الاعمال، ويسعون لان تخدم الذكور في عائلتها منذ الصغر، بينما الذكر مطلوب منه ان يتعلم، ويولى الأهمية الكبرى في التعليم، وتحصل الكارثة الكبرى ان فشل تعليمياً، او لم يفلح بتعلم حرفة تقيده، بينما البنت لا أحد يهتم بنجاحها أو تفوقها، او تعليمها، فتعتبر تحصيل حاصل، وان لم تفلح لا مشكلة فالمثل الشعبي يجيب بان المرأة نهايتها المطبخ وليس العمل فلما كل هذه المشكلة، فتتسبب المرأة ضعيفة، لاتمتلك المهارات العملية اللازمة، واذا تولت الوظائف فانها سوف تتولى الوظائف المتدنية لهذا السبب.
- انواع العمل: كما اسلفنا الذكر فان معظم الاعمال التي تولي للمرأة هي أعمال دنيا ، ونادر أن تتولى اعمال كالتمريض والتعليم والسكرتاريا، فهذه الاعمال في نظر المجتمع هي التي تليق بها، فلا تسند لها المهن الشاقة لأن المجتمع يتطلع بانها غير جديرة بها، وتكوينها الجسدي لايساعدها على القيام بها، وكما انهم يبعدون عنها اعمال الحراسة والامن والشرطة لمثل هذا السبب، وتبعد عن الاعمال الابداعية والانتاجية لانهم يعتقدون بانها ،اقل قدرة عقليا من الرجال، ويستندون بذلك على نظريات علمية، أثبت مع الوقت خطئها، ولايفضلون توليتها الاعمال الادارية العليا او الاشرافية، لأعتقادهم بأن المرأة تحكمها العاطفة بدلا من العقل كالرجال، وهذا

<sup>4</sup>المرجع السابق، ص2012

امر خاطئ، ولذلك نجد ان قلة من النساء يصلن الى مناصب قيادية للأسباب التي سبق لنا شرحها.

- تدني الأجور مقارنة في الرجال: ويعود ذلك ان المجتمع ينظر للمرأة بانها اقل قيمة وقدرة انتاجية من الرجل، فتحصل على أجور أقل من التي يحصل عليها زميلها الرجل، الذي يعمل نفس الاعمال، فالمجتمع ينظر للرجل على أنه المعيل لأسرته بينما المرأة لا تعيل أحد بنظرهم، وأن عملها فقط كصورة اجتماعية ، كما أن تولي المرأة لاعمال متدنية اقل فئة من الرجال، ساهم في تدني الاجور، كما أن العديد من الاعمال لاتعطي المرأة ميزة التأمين الصحي لأسرتها، ومن أسباب تفاوت الاجور كذلك قول عدد من المدراء بان مكانة المرأة هي المنزل وتربية الابناء.
- سلب المرأة الاجور التي تحصل عليها: أن العدد الأكبر من النساء اللواتي يعملن لايملكن القدرة على التصرف بالاجور التي يكتسبونها من العمل، فالزوج يأخذ هذه النقود لتساعده في تحمل اعباء الحياة، خاصة اذا كانت الاسرة فقيرة الدخل او محدودة الدخل، والبعض الاخر يأخذ هذه النقود لقاء سماحه للمرأة في العمل، كما ان العديد من الامهات العاملات يذهب جزء كبير من الاجر الذي يتقاضينه كمصاريف لدور رعاية الاطفال خلال فترة العمل وهي مصاريف باهضة تاخذ الجزء الاكبر من الدخل.

ولهذا النوع من الاستلاب التأثير الكبير على المجتمع، فهو يحرم المجتمع من جزء كبير من الايد العاملة والمنتجة، فيعطله، ويتخلف بالنمو الاقتصادي، كما تزيد نسب الفقر وذلك لأن الرجل يتحمل العبء الكبير في أعاله عدد كبير من الافراد، كالزوجة والابناء والوالدين الكبار، ويشعر المرأة انها أقل قيمة، وهي فقط للانجاب كالوعاء والقيام بالاعمال المنزلية، فتخشى الطلاق لأنها سوف تصبح بلا معيل، فتستلم للرجل وترضخ له بجميع المطالب، وتشعر بالتهديد المستمر لها، وبأنها شخص غير منتج أو فعال في هذه الحياة ، وينتج اجيال ترى بأن المكانة الوحيدة للمرأة هي المنزل والاعمال المنزلية، او في أحسن الاحوال بان المرأة تعمل كممرضة او معلمة وسكرتيرة ومدبرة منزل، ولايمكنها ان تتولى اي نوع من الاعمال الابداعية او العلمية او الشاقة، وهذا يعود بسببه الى النشأة التي نشأوا عليها.

### الاستلاب الجنسي

ان الاستلاب الجنسي يعتبر من أحد أنواع الاستلاب والقهر الذي تعاني منه المرأة في مجتمعاتنا العربية، منذ القدم وحتى الان، فهي منذ الولادة وحتى الموت لا يمكن لها أن تمتلك السلطة على جسدها، فهي تتعرض

لعملية مستمرة من القهر والخوف، وكلما زادت درجة التبعية الاقتصادية والتي سبق وأن ناقشناها تتعرض المرأة لدرجة أكبر من الاستلاب الجنسي، فالعديد من افراد المجتمع ذكور واناثا ينظرون للمرأة على أنها فقط اداة للجنس، او وعاء جنسي، عليها ان ترضي رغبة زوجها ، وان تنجب له الذكور ، وقبل الزواج يجب ان تحافظ على عفتها المرتبطة حصرا بغشاء البكارة، والا الويل كل الويل لها فهي قد دنست شرف ورفعت أهلها وتلاقي كل الذل والهوان، والعنف الجسدي والنفسي، وقد يصل الموضوع الى القتل "جرائم الشرف"، بحجة حماية الشرف للعائلة او الزوج المخدوع في ليلة الزفاف، ويمكن تلخيص ابرز اشكال الاستلاب والقهر الجسدي الذي تواجهه المرأة في مجتمعنا بالتالي:

- الجهل بتكوين المرأة الجسدي والنفسي والعاطفي: حيث ان الكثير من الرجال او النساء يجهلون جسد المرأة وتكوينه ويختزلونه عادة فقط في الاعضاء الجنسية المختصة في الانجاب ويهملون الاعضاء الاخرى الجنسية، ولعل ذلك يرجع في كمسبب رئيسي الى القيود الصارمة التي فرضها المجتمع على المرأة وجسمها، وربط العلاقات الجنسية وجسدها تحديدا بمفاهيم مختلفة مثل النجاسة والخطيئة والتحریم، ومع ذلك لم يسلم جسد المرأة من التشويه والتغيير وقد تنوعت طرق هذا التغيير والتشويه، ولعل من ابرز الامور التي يمكن الحديث عنها والتي تشوه من جسد المرأة ما يلي:
  - الختان: وهذا الفعل الذي يعني قطع وبتر الأعضاء التناسلية للمرأة وتشويهها، يعتبر أحد اكثر اشكال التغيير في جسد المرأة ، وهو عدة انواع لعل اخطرها الكامل والذي يستأصل الاعضاء الانثوية المسؤولة عن اللذة الجنسية في المرأة بشكل كامل ، واخفها الذي يستأصل البظر فقط، ويجهل العديد من الرجال والنساء مخاطر هذه العملية، ويروجون لها ويدعون لها ، ويعتقدون أنها تساهم في حماية عفة الفتاة وصيانة شرفها، ولما لها من المخاطر الكثيرة سواء عند العملية حيث قد يحدث نزيف يسبب الوفاة، او فيما بعد يسبب الالتهابات المتكررة والتشوهات في الجهاز التناسلي للفتاة فيسبب مخاطر عديدة قد تسبب العقم، او مخاطر نفسية فيسبب العقد النفسية للفتاة فتنشأ كارهة لجسدها، ناقمة على مجتمعها، متمردة عليه، او يحدث ما هو أسوء من ذلك فقد تقوم الفتاة بالاستسلام لهذا الامر وتصبح من اكثر المدافعين عنه، وقد تشعر العديد من الفتيات المختونات بعقدة النقص وانهن مختلفات عن غيرهن من النساء، وهذا الامر ينتشر في عديد من الدول العربية كمصر والسودان..
  - الاهتمام المبالغ فيه بالجمال الخارجي: حيث اصبح تركيز المرأة فقط على جمالها الخارجي مع اهمال كافة جوانب الجمال الاخرى فكريا واخلاقيا وعقليا، ولعل المقولة الاجتماعية كوني

جميلة وأصمتي هي اوضح مثال على ذلك، فأصبحنا نرى الدعايات فقط تخاطب المرأة جماليا بمستحضرات التجميل والعمليات التجميلية وغيرها، واصبح الهاجس الاكبر للمرأة ان توافق المعايير المجتمعية للجمال، والا فانها تخشى من ان لا تتزوج فيفوتها القطار، وتلحق بركب من يطلق عليهم مجتمعيًا (عانس)، فتخشي من ان تزيد وزنا لا لأسباب صحية وانما لاسباب جمالية ومجتمعية، فتمتتع عن لاكل وقد تلجأ للعمليات الجراحية المختلفة، وغيرها، ولعل انتشار الفضائيات المختلفة ساهمت في انتشار صورة نمطية معينة للجمال، فاصبح الرجال يقارون زوجاتهم بها، واصبح هاجس النساء ان يصلن لهذا النمط الجمالي الواحد، مع ما يرافقه من اخطار على جسدها او حتى من اخطار نفسية واجتماعية وغيرها.

- مفهوم العذرية: لعل المعروف لدى معظم الناس هو ان الفتاة تولد وهي تمتلك هذا الغشاء، ولابد لهذا الغشاء ان يفض في الليلة الاولى للزواج، اي عند الاتصال الجنسي الاول لها ليلة الزفاف، ويجهلون ان هذا الغشاء هو شيء زائد وظيفته التشريحية حماية الاعضاء التناسلية لفتاة وهي جنين ليس أكثر، ولكن في مجتمعاتنا اصبح هو الذي يحدد عفة الفتاة من عدم عفتها، وقد تفقد حياتها اذا لم تسلم الدماء، لان الاغلب يعتقدون ان الدماء يجب ان تتزف غزيرة، وهو في الحقيقة ليس كذلك، فما هي سوى بضع قطرات من الدماء قد تحدث او لا تحدث، وذلك يرجع لامور تشريحية متعلقة في جسد المرأة لا يتسع المقام لمناقشتها هنا، ولكن في النهاية يجب على الفتاة في عرف مجتمعاتنا ان تكون حريصة على هذا الغشاء وهي فتاة، الى ان يستلمه الزوج منها ليلة الزفاف، ولعل من مظاهر الاهتمام به اصرار المقربين من العروسين التأكد من رؤية الدم على ملاءة السرير، او منديل ابيض مخصص لهذه الغاية، وفي بعض المجتمعات قد يجري ما يعرف بالدخلة البلدية، وهي ان تقوم الداية او الزوج باستخدام اصبع يديه في فض الغشاء بحضور اقاربهم، الذين يمسون الفتاة وهي مستلقية على السرير، "فالمجتمع قد جعل مقياس الشرف ودليله هو غشاء رقيق يتعرض لكل ما يمكن ان يتعرض له هذا الغشاء الرقيق من اصابات واضرار او تمزق لاسباب غير ممارسة الجنس، ويمكننا ان نتصور الضرر النفسي الكبير الذي يصيب الفتاة في مجتمعنا عند ادراكها ان هذا الغشاء الرقيق هو اعز ما تملك وعليه يتوقف شرفها ومستقبلها وحياتها، وان عليها ان تحافظ عليه بكل ما تملك من وسائل، وان اقتضى الأمر ان تمشي وساقها ملتصقان، وان تبتعد عن ممارسة الرياضة والحركات العنيفة ولايهم ان لا تمتلك للياقة بدنية ف الأهم هو هذا الغشاء".<sup>5</sup>، والا فالويل كل الويل لهذه الفتاة

<sup>5</sup>د.نوال السعداوي، المرأة والجنس، دار ومطابع المستقبل، الاسكندرية، مصر، ص 31

فوقتها تتعرض للقتل على يد والدها أو شقيقها أو عمها، أو زوجها فإن الأمر الأهم هو الشرف فلا يجب ان يتلوث شرفهم، أو قد تتعرض لعنف جسدي ونفسي كبير اذا كانت محظوظة ولم تقتل.

- جرائم الشرف: وهي ارتكاب جريمة القتل من قبل أحد أفراد الأسرة الذكور، وترتكب ضد الانثى، أو الاناث في الأسرة ، وعادة ما تكون اسباب ارتكاب هذه الجرائم هي ضنية، فيكفي الذكر ان يشك في سلوك الانثى أو تصرفها حتى يصدر الحكم عليها ويقتلها، بحجة حماية شرفه، وان اسباب ارتكابها متنوعة فيكفي ان تتزوج الفتاة من رجل من غير موافقة الال حتى يهدر دمها، او ان تحب شاب ما ، او ان يراها احد الذكور في رفقة شاب ما، فيشك بشرفها، او تكون لاسباب حقيقية كان يشاهد الزوج زوجته في وضع الزنا، او ان تمارس الفتاة الجنس خارج اطار الزواج، وقد سميت بهذا الاسم وذلك لتميزها عن الجرائم الاخرى التي تقع وكونها مرتبطة بالمفهوم المتداول للشرف والذي يربط قسرا على المرأة فقط.

وبناء على ما سبق يتبين لنا ان المرأة منذ الولادة وحتى الوفاة هي مستلبة الجسد، تمتلكها عائلتها في البداية ومن ثم الزوج الذي يختزل جسدها للمتعة او للانجاب فقط، وما القوانين التي وضعها الرجل الا كترسيخ لمثل هذه المظاهر الاستلابية القهرية، فهي السلاح والاداة التي تساعد المجتمع الذكوري الطابع، وذلك لان اقسى وأصعب انواع الاستلاب والقهر هو السيطرة على الجسد، وعدم قدرة المرأة على التحكم به، او باقل الدرجات ممارسة رغباتها في اكتشاف هذا الجسد بسبب عوائق وكبت يفرضه عليها المجتمع، وخاصة وهي فتاة صغيرة خوفا على عذريتها، ولا يمكن ان نطالب باعطائها حرية التصرف جنسيا في جسدها في مجتمعنا لوجود عديد من الموانع ولعل اكثرها اهمية هي الموانع الدينية والاجتماعية وغيرها.

"ولعل ما سبق يوقع المرأة في مأزق ، وفي حالة تناقض كبيرة، بين اختزال كيانها الى مجرد جسد جنسي، وتضخيم أهمية الجنس، والقمع المفرط الذي يفرض على هذا الجسد، وتزداد حدة هذا التناقض في موقف الرجل الذي ينجذب للجسد الجذاب والذي يضج حيوية وحياء، وفي نفس الوقت فهو لا يتحمل مثل تلك النتائج والتي تقع على عاتق المرأة"<sup>6</sup>، فالرجل يريد زوجته ان تكون سالب متلقي معه لا تتجاوب معه لانه سوف يتهمها بانها قليلة حياء، وبنفس الوقت ينجذب لعشيقته التي تبادله ولا تعاني من البرود كالزوجة، ويعود في وقت اخر يتهم عشيقته بانها ممومس ، ويتهم زوجته انها باردة لا تتجاوب معه، وينسى لما للتربية التي تلقتها دور كبير في تشكيل شخصيتها وعلاقتها مع جسدها مما يؤثر على تجاوبها الجنسي، فتتحول زوجته

<sup>6</sup> المرجع السابق ، 216

لضحية اكثر من مرة فمرة هي ضحية التربية الخاطئة ومرة اخرى ضحية لزوجها الذي يتهمها بالبرود الجنسي، وقد يفصل عنها ويبرر خيانتته بذلك.

ولعل لهذا الاستلاب العديد من الاخطار الكبيرة التي تؤثر على المجتمع، فقد تتحول المرأة الى كائن مسرحي يقوم بالتمثيل والكذب للحصول على ما تريد، وتلجأ للترتم والتعصب لتفريغ تلك الطاقة والقدرة الجنسية، فتتمادى بالترتم والقمع على الاطراف الاضعف كالنساء الاخريات، او الاطفال، ولعل من اهم المخاطر المترتبة على ذلك ان المرأة تقوم بتربية الاطفال فقد تبالغ في تعريضهم للحب والحماية فينشأ جيل مهتر الشخصية معتمد على المرأة والام، فتصبح شخصية غير سوية لا يمكن ان تتخذ قرار لوحدها، فتنشئ المشاكل المختلفة ويكون هذا الشخص غير سوي اجتماعيا او نفسيا في المجل، كما ان المرأة المستلبة جنسيا تنشئ اطفال غير مكتملين الهوية الجنسية ومستلبين كالمرأة.

### الاستلاب العقائدي:

لعله لا يوجد خطر أكبر على المرأة من ان تتبنى كل اراء الرجال ومعتقداتهم الدونية عنها، بل وتساهم في نشرها، وتدافع عنها، وتعتقها وتساهم في نشرها، فتقبل مكانتها الاجتماعية والاقتصادية والجنسية، دون أي محاولة منها لتغيير هذه المكانة، فهي تتقبلها بصدر رحب ووتبناها فتعتقد ان هذه المكانة هي جزء رئيسي من طبيعتها، فتقاوم كل حركة لتحريها وتكون أشد الراضين لهذا التغيير، ومن هنا يتضح لنا سبب مقولة "المرأة عدو للمرأة"، فهي لا تتصور لها وضعا غير الوضع التي تجد نفسها فيه منذ الولادة، فتقاوم التغيير لانها تعتقد خروجها عن طبيعة الأمر الذي هي عليه، فتعتقد ان اي حركة لتحريها سوف تمسها بكرامتها وشرفها، فتكون اكثر الناس شراسة في التصدي لهذا التغيير.

والاستلاب العقائدي هو أن تقتنع المرأة بدونيتها تجاه الرجل، وتعتقد جازمة بتفوقه، وبالتالي سيطرته عليها، وعلى أنها تابع له، فتوقن المرأة على أنها كائن جاهل، قاصر، ثرثار، وعاطفي، لا تستطيع مجابهة أي وضع بشيء من المسؤولية أو الجدية، وبالتالي فهي لا تستطيع بناء كيان مستقل لها.<sup>7</sup> فتعتقد لمرأة بأن عالمها

<sup>7</sup>المرجع السابق، ص218

الحقيقي هو منزلها وتربية ابنائها وأسعاد زوجها، فتتمي مكانتها فقط كأم وربة منزل فقط، فلا أهمية لأي امكانيات اخرى أو مواهب، ولاداعي لتنميتها، وأن حاولت المرأة أن تنمي هذه المواهب تجد العديد من الحواجز، ولعل أبرزها هو المرأة فالمرأة لا تذهب لطبيبة نسائية الا اذا كانت مشهورة جدا، او انها اجبرت لضروف اجتماعية او اقتصادية، فهي تثق بقدرة الطبيب الذكر اكثر من الانثى، كما أنها تواجه معيقات اجتماعية ونفسية، فالعديد من الاشخاص كالاهل والاقارب ينصحونها بضرورة البقاء في المنزل، واذا ما خرجت للعمل تجد العوائق او كلمات تشعرها بالذنب، وذلك لإهمالها في منزلها وأطفالها.

كما أن المرأة المستلبة عقائديا تتماهى وتترك بأن جسدها هو عورة يجب على الأب والأخ والزوج والأبن أن يستره، وان الشرف هو ما يحدد مكانتها وحفاظها على هذه السترة شيء مقدس، والا فقدت مكانتها وقد تفقد حياتها ، نتيجة لفقدانها لهذه السترة، كما انها تتبنى الموروث الشعبي بكافة تفاصيله والذي يمجّد أن المرأة ذات كيد كبير، وأنها مأكرة ومخادعة تتلون كالأفعى، وانها كاذبة تلجأ للكذب في حياتها، ولعل أبرز هذه الاساطير أسطورة حواء والتي اوجدت في البدء في الديانة اليهودية وتم تناقلها في مختلف الحضارات والعقائد، بأن حواء هي من أغوت ادم ليأكل من الشجرة المحرمة، واستمرت الاساطير القديمة والتراث الشعبي بتبني هذه الأمثال وتداولها بشكل كبير. ولعل أبرزها هو الامثال المتلفة والمتداولة والتي تحط من قيمة المرأة ، مثل ( تكبر حية وتكبر بنية، إن ماتت أختك نستر عرضك، صباح الحية ولاصباح البنية، بنت ستة ستوها وان ما قعدت أضربوها=يعني انه يجب على الطفلة تولي المسؤولية المنزلية من عمر ستة سنوات)<sup>8</sup>، وغيرها من هذه الامثلة والمرويات التي رسخت هذه الصورة النمطية عن المرأة.

وان كانت جزء من التراث الشعبي والأساطير قد ساهم في ترسيخ الصورة السلبية، فهناك جانب وشكل آخر ساهم في تعزيز صورة نمطية لكنها نوعا ما ايجابية، في الأم المضحية ، والزوجة الحنون، والرفيقة لزوجها وأخيها، التي تتحمل اعباء الحياة بدون شكوى، وتضحي براحتها وسعادتها بسبيل راحة وسعادة ابنائها وزوجها، فهي تحقق ذاتها وتستنزف طاقتها فقط من أجل ابنائها وزوجها، فتشعر المرأة منذ الصغر أن جوهر وجودها يتلخص في ان تحمل وتتجرب، وتكون في غاية السعادة عند أنجابها الذكور، واذا ما تأخرت في الانجاب او انها كانت عاقر، هنا تشعر المرأة بدونيتها، فهي قد ترسخ بذهنها ان جوهر وجودها، وغايتها في هذه الحياة يتلخص في أنجاب الاطفال فقط، والا انها تعتقد بأنها سوف تكون عبأ على زوجها يحق له

<sup>8</sup>صالح زباندنة، موسوعة الأمثال الشعبية، دار الهدى للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، حزيران 2004

طلاقها، او اذا كان كريما حسب اعتقادها لم يطلقها، وابقاها فقط لخدمته، فهي قد ترسخ في ذهنها منذ الصغر أن عليها طاعة الذكور من افراد عائلتها، وهم عليهم أعاليتها وسترتها، والمحافظة على شرفهم المتمثل بها، فهي ليست سوى جسد يأكل وقوام يلبس ويعتنى به لأسعاد الزوج، ورحم للانجاب، وجسد يقوم بالخدمة والعمل داخل المنزل مقابل ان تبقى في حماية وعصمة رجل.

ومن خلال هذا الاستلاب يصل القهر إلى أقصاه، لأن المرأة تعتز بمظاهر قهرها، فتصبح تعرف نفسها من خلال هذه المظاهر التي تستلبها، وبالتالي فأنها تطمس أماكنات ان تصبح واعية بحقيقة وضعها، فتسعى لتغييرها وتحسينها، بل أنها تكون اشدهم مقاومة للتغيير، فتصبح عملية استغلال المرأة واستلابها سهلة ميسرة، دون أي صعوبات تذكر، ولعله يجب على المرأة وقتها ان تعلم بأنها هي السبب الأول في هذا الاستلاب والقهر الواقع عليها، فهي العلة والغاية في حد ذاتها.

ولعل أهم أسباب الأستلاب العقائدي الواقع على المرأة، ما يمكن أن نجمله على الشكل التالي:

- الأسرة: فالأسرة ومنذ طفولة الفتاة، تسهم في ترسيخ وتعزيز هذه المكانة وهذه النظرة التي تنتظر المرأة من خلالها لنفسها، على أنها أقل مرتبة وقيمة، من خلال المهام اليومية التي تعطى لها من تنظيف وطبخ، وخدمة لوالدها ولأخوانها الذكور، بينما لا يطلب من الاشقاء الذكور القيام بأي أعمال منزلية، وكما يسمح للذكور من الاشقاء بفرض رأيهم وسلطتهم على الفتاة، وان كانوا اصغر عمرا منها، وان عليها أن تحترمهم وتطيعهم، فهي تتعرض لعملية خصاء ذهني منذ الولادة، فاذا ارادة ان تسلم وتكون مرتاحة البال، يرسخ في قناعتها بأن عليها أن تصمت وتقبل بهذه الادوار، وان تطيع الذكور.
- المدرسة: فإن المرأة ومنذ الصغر تتعلم ويترسخ في ذهنها هذه الصورة النمطية، فالمناهج المدرسية أكبر مثال على ذلك، اذا انه منذ الصغر تدرس بأن الأب يعمل، والأم تطبخ، الولد يلعب، والبنات تساعد أمها في الأعمال المنزلية، ومع الصورة التي تكونت لديها في منزلها يصبح من الصعب تخليصها من هذه الذهنية، فهي ثابتة راسخة، وتظن بما أنها قد أخذتها في المدرسة وتشربتها في المنزل بأنها صحيحة غير قابلة للنقاش.
- المجتمع : أن المجتمع بشكل عام يساهم في تعزيز وترسيخ هذه الصورة الذهنية عن المرأة، فهو يكمل الدور الذي تلعبه الأسرة والمدرسة، فدائما ما يشعر المرأة اما بدونيتها، او يتعامل معها

على انها جسد فيخاطبها مطالباً ايها بالستره والأحتشام بالملابس، ويحثها على ان لا تخالط الرجال، وان تتعزل عنهم، ويمجد مثل هذه القيم ويحث عليها، وفي جهة أخرى يبالغ في تضخيم الدور الأمومي لها، ويركز عليه مع تهميش باقي الجوانب الاخرى لها والتي تبرع بها، فهو لا يسلط الضوء على نجاحها الاكاديمي او العملي او الابداعي، او تفوقها الأدبي، او الرياضي، بل يعتبرها شيء غير ذا قيمة، وان الأهم ان يكون لها عائلة وأن تتجب الأطفال، حتى تعتبر امرأة ناجحة.

● النظريات النفسية: والتي تركز هذا الخصاء الذهني للمرأة، من خلال الزعم بوجود عقدة خصاء عند المرأة، فهي عقدة غيرة من الذكور، والتمني والاشتهاء لأمتلاك قضيب مثله، وخاصة في نظرية التحليل النفسي التقليدي، المرجع الأساسي اللاواعي لنظرة المرأة والمجتمع لها، فهذه النظريات تنتظر للمرأة في الأصل كنعق أو فراغ يقابلة الامتلاء عند الرجل الذي يمتلك القضيب على عكس المرأة، وهذه النظريات لم تقدم سوى ترسيخ وتعزيز الصورة النمطية للمرأة، وبالتالي تأكيد وترسيخ الاستلاب والقهر الواقع على المرأة.<sup>9</sup>

ومن اهم مساوئ الاستلاب العقائدي الواقع على المرأة على أنه يمنع التطور الاجتماعي والفكري، ويكبح اي محاولة جادة وصادقة للتغيير المجتمعي، فلا تغيير حقيقي بدون تغيير الواقع والظلم الحاصل على المرأة وتحريها، ولعلنا نحتاج الى تضافر الجهود جميعها لتحقيق هذا التغيير، ولكن وكما أسلفنا فلأن المرأة هي من ترفض وتواجه مثل هذه الحركات الداعية للتغيير بالرفض والانتقاد، وتتحامل عليها، فهي تساهم في وقف جهود التغيير وتنمية المجتمع، وتكبح تطوره وتقدمه، فهي تعتقد أن ما تفعله وترتب عليه هو الصحيح، وأن اي محاولة للتغيير تستهدفها بشكل شخصي وتشكل خطر على كيانها ووجودها.

### الاستلاب الاجتماعي :

قد يعتقد البعض أن مكانة المرأة تحسنت أو حصل عليها تحسين وتطور، ولكن في الحقيقة ان التغيير الذي حصل هو تغيير شكلي، ظاهري، ولكن هذا التغيير، لم يكون في المضمون او العمق اللازم حتى يتغيير المجتمع، وتتغير معه مكانة المرأة وتتطور، في الحقيقة أن مجتمعنا ما زال لديه مرحلة كبيرة من الوقت

<sup>9</sup> دمصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، مدخل الى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص219

والمواقف الاجتماعية والتغيرات الجذرية التي يجب أن تحصل فيه، وذلك لكي يتحول هذا المجتمع الى مجتمع متقبل للمرأة واع لأهمية دورها، ويتيح لها الفرص للتقدم في كافة المجالات.

وهناك عدة أشكال للاستلاب الاجتماعي للمرأة ، وقد أرتئيت أن اوجزه على شكل نقاط كالتالي:

- دعم مكانة الرجل الاجتماعية من خلال الانجاب : حيث تختزل قيمة المرأة اجتماعيا فقط من خلال رحم ينجب الاطفال، ويفضل المجتمع عادة ويمجد أنجاب المرأة للذكور، ويعدون لها مناسبة للفرح، وفي حين اذا انجبت المرأة الاناث لم تكن مظاهر الفرح كحالها عند الذكور، وفي بعض المجتمعات ذات الطبقة المتدنية والبدائية يحزن الرجل عند قدوم فتاة لعائلته، ينظر لها على أنها عبء، فلا قيمة للمرأة الا من خلال رحمها، الى أن تستنزف طاقة وجسم المرأة من خلال الولادات المتكررة غير متباعدة المدة، وتتعرض للخطر، وتهرم بشكل كبير وتصبح غير قادرة على اداء واجباتها الزوجية مع زوجها، فيصبح للزوج فرصة الزواج عليها من اخرى تحت دعم وتأييد المجتمع له، فتصبح المرأة تحت وطأت شبح أن تتقبل الضرة ، او الطلاق الذي يهدد مكانتها الاجتماعية، فالمجتمع ما زال ينظر للمرأة المطلقة على أنها عيب، او عورة كبيرة، ويرفضها المجتمع، وتخشى منها النساء، وذلك خوفا من أن يتزوجها رجالهن، فالولادة والانجاب تمثل قيمة المرأة من حيث زيادة مكانة الرجل الاجتماعية، في مجتمع ينظر لعدد الاطفال على أنها قوة وهيبة، فيصبح للرجل مكانة اجتماعية مختلفة عن الرجل الذي لا تتجب زوجته ، فيدعوه المجتمع لطلاقها او الزواج عايبها، ويقولون عنها أرض بور ، أي يشبهون رحم المرأة بالأرض التي لا تنتج المحاصيل فيجب التخلص منها.
- وسيلة أو أداة للمصاهرة بين العائلات المختلفة: حيث يتم من خلالها تقوية أو اصر العلاقة والنسب بين أبناء العائلة الممتدة الواحدة، فقد تزوج أما برضاها أو قسرا لأحد الأقارب، وبغض النظر عن التوافق أو الانسجام بينها وبين الشخص الذي ستتزوجه، فالمصالح الاقتصادية والعائلة، والمشاكل التي سوف تحل داخل العائلة تعتبر مهمة أكثر من الشعور بالمودة والانسجام بينهما، او تذهب كوسيلة لمنع الثأر والانتقام فتزوج لرجل من عشيرة اخرى غير عشيرتها، حقنا للدماء التي قد تحدث بسبب الثأر، فتذهب هي كقربان لمنع الدم، حيث ان الدماء في الزواج وعند انجاب الابناء تختلط وتصبح واحدة، او تكون كوسيلة تتم المصالح والتحالفات الاقتصادية والاجتماعية التي تحدث بين

العائلات، او كطمع ورغبة لأسرتها في مصاهرة الاعيان أو ذوي النفوذ والمال، فيزوجنها لشخص من هذه الطبقة، فالمهم هو مصلحة العائلة وليس مصلحة الفتاة الحقيقية.<sup>10</sup>

○ المرأة الواجهة الاجتماعية (الدمية): وهي المرأة التي تعتبر فقط ككيان اما لجمالها أو مكانتها الاجتماعية المستقاة من عائلتها، اي هي كالدمية التي يستعرض بها الرجل، ويتباهى على الأغلب بجمالها أو مكانتها العريقة ونسبها، فيتفاخر بأنها يمتلكها، وبأن ملكيتها له، ويبرر ذلك بقوته وسطوته أو الى حظه، وهي تشبه المحظيات في العصور القديمة، ولا يهتم الرجل لأي كلفة مادية ناتجة عن هذا الأهتمام أو التباهي، سواء كتكلفة من أجل تجميل المرأة بشكل أكبر، او كتكلفة اجتماعية ناتجة عن هذا الأستعراض، فما يهم الرجل هو أن يثير غيرة الآخرين، ويشعرهم بمكانته وتفوقه، ولكن الرجل في الوقت نفسه سوف يرهق من العناية بهذه المرأة من حيث الحماية، وجعلها بعيدة عن مطامع الرجال الاخرين، الذين قد يحاولون اغوائها، فالمطلوب من المرأة في هذه الحالة هو أن تكون ذات مظهر لافت براق، فتهتم بهندامها ومظهرها وجمالها، فلا يهتم تفكيرها ولاشخصيتها، ولا عاطفتها، ومن هنا جأت تسمية الدمية، لأنها تشبه الدمية بشكل كبير.<sup>11</sup>

ومما سبق يتضح لنا ان هذا الاستلاب الاجتماعي للمرأة يمكن الرجل من أن يختزل المرأة الى كائن متخفي تحت عبأة الرجل، مستلب الارادة، وحق تقرير المصير، وعليها ان تقوم بالوظائف التي حددت لها عن طيب خاطر وألا أنها سوف تواجه مخاطر عددة كالنبذ الاجتماعي، او العنف اللفظي والنفسي، فما يهم الرجل هو أن يحقق ما يريده اجتماعيا وعلى المرأة ان تكون تابع له، وتتبنى ما يتبناه الرجل.

## النتائج:

فكما تبين لنا فيما سبق فإن المرأة هي من أكثر الكائنات التي تتعرض للقهر والاستلاب، ومنذ الولادة وحتى الوفاة تتعرض لأشكال مختلفة ومتفاوتة من القهر الذي يفرض عليها، اذ ان الرجل يتخذها كوسيلة للهروب من المشاكل والمصاعب التي تواجهه فيقوم بقلب الأدوار على المرأة، ويكون هو القوي السيد، والمرأة هي

<sup>10</sup>لينا نقلا، القهر الاجتماعي للمرأة في النظام القبلي، مجلة الحوار المتمدن، العدد العاشر، 2005/1/10م.

<sup>11</sup>أنظر د.مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، مدخل الى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص221، ص222.

الكائن الضعيف الذي يحتاج للرعاية والحماية بشكل دائم ومستمر، لأنه لا يمكن للمرأة ان تعيش طوال عمرها ووقتها في القهر والاستلاب، ولذلك فهي لجأت تاريخياً لعدة طرق وأساليب تتبعها للدفاع عن نفسها ضد الظلم والغبن الذي يلحق بها من الرجل او المجتمع، وفيما يلي توضيح لأهم الأشكال الدفاعية التي تلجأ اليها المرأة:

- التضخم النرجسي: فالمرأة والمجتمع يحيطون جسد المرأة وكيانها بهالة من القدسية وخاصة عند تأديتها لبعض الوظائف الأسرية، مما يشعرها بالفخر والاعتزاز بجنسها، ومن ثم تقبل هذه الأدوار والدفاع عنها وحمايتها، فهي تجعلها في مكانة اعلى من وضعية القهر والاستلاب المفروضة عليها، وهذا يساعدها على الوصول الى حالة من التوازن النفسي الذي تضمن فيه ان تتقبل وجودها وتؤدي مهماتها على الشكل الأمثل، ويتخذها الوضع عدة أشكال منها:
  - الأمومة: فالمرأة وخاصة في المجتمعات المتخلفة تربط كل كيانها واهميتها في هذه الحياة من خلال فكرة أنجاب الأطفال وتربيتهم، واعطائهم الرعاية والأهتمام في مجمل وقتها، فالمرأة لا قيمة لها في نظر نفسها أو المجتمع من دون الأنجاب، كما انها تعوض الشعور بان الرجل يمتلكها من خلال امتلاكها لأطفالها واستلابها لشخصياتهم.
  - صيانة الشرف: اذا تتمثل أهمية المرأة بشرفها والذي هو في النهاية وكما سبق لنا ان وضحنا هو فقط عذريتها، فلا شرف للمرأة أو اسرتها دون هذه العذرية، فتقوم النساء بدور كبير للحفاظ على شرفهن وبالتالي شرف أسرتهن فيحمين هذه العذرية بكل اهتمام ومبالغة في أحيان اخرى، ويفرضن هذا الدور على الفتيات الأصغر سنا من خلال التنشئة الاجتماعية.
  - حماية العادات والتقاليد: فالمرأة هي اكثر من يتمسكون بالعادات والتقاليد ويرفضون تغييرها وقد أشرنا لسبب هذا سابقاً، وبالتالي تحرص المرأة على تعليم الاطفال هذه العادات والتقاليد ونقلها وتوارثها، وان كن هن اكثر من يقع عليهن الغبن بسبب هذه العادات.
  - مثلثة جسدها: حيث تقدم المرأة جسدها بشكل جميل جذاب مبالغ فيه، وتسعى الى ان تشعر وتبرز انها مرغوبة جنسيا من الرجال، فاذا كانت متزوجة تشعر بأن زوجها مفتتن بها ويرغبها لجمال جسدها، واذا كانت غير متزوجة تشعر بانها مرغوبة من الرجال فهم يتسابقون لنيل رضاها ومحبتها وقد تلجأ بعض النساء لاستغلال ذلك لتحقيق بعض المكاسب المادية او الاجتماعية، او فقط لتحقيق شعور من الرضا النفسي.

- السيطرة غير المباشرة على الرجل: يعتقد الرجل بأنه يسيطر على المرأة، وتعتقد المرأة بأنها بالواقع وفي نفسها انها هي من تسيطر على الرجل، فتعتقد بأن سيطرته الظاهرة للعيان ما هي الا وسيلة تستخدمها، فهي توهمه بقوته وسيطرته، فلا ينتبه الى ما تفرضه المرأة من سيطرتها عليه، هذا في بعض الأحيان اما في احيان اخرى وعند وجود الصراع الحقيقي بين الرجل والمرأة فان الأمر يتحول لحرب حقيقية بينهما فكلاهما يريد أن يفرض سيطرته ، فقد تضرع للرجل انها انهزمت ورضخت له، ومن ثم تباغته في وقت ضعفه وتقوم بفرض سيطرتها عليه، انها الحرب التي وجدت منذ بدء الخليقة بينهما لفرض سيطرتها وودوهاً.

### التوصيات :

وبناء على ما سبق التوصل له من نتائج وملاحظات لهذا البحث يوصي الباحث بما يلي:

- العمل على زيادة الوعي بمكانة ودور المرأة الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، ومحاولة توضيح هذه الأهمية بعدة أشكال منها :
- التغيير في طريقة التنشئة والتربية الاسرية للأطفال واليا فعين في المنزل.
- الاهتمام بتغيير الصورة النمطية للمرأة في المناهج التعليمية في العالم العربي وتحديدًا في الأردن.
- الاهتمام بأن يصبح التركيز الاعلامي ليس على جمال وجسد المرأة فقط وانما على ثقافتها وفكرها وانجازاتها.
- تغيير بعض الانظمة والقوانين التي تنتقص من حقوق المرأة ومكانتها وبما لا يخالف الشريعة الاسلامية.
- انشاء ودعم الحركات التي تدعم تحرر المرأة واستقلالها، على ان لا تكون تلك الحركات تنادي بامور مخالفة للشريعة الاسلامية او الاعراف الراسخة، ومقلدة للحركات النسوية في الغرب.
- ايمان المجتمع التام بأنه لا تقدم ولا اذدهار حقيقي للمجتمع بدون ان نوقف ونلغي القهر الواقع على المرأة، وان تتمكن من لعب الادوار الحقيقية لها في المجتمع ليحصل التوازن الحقيقي اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا.

### المراجع:

## أولاً: المراجع العربية:

1. أيمن محمود، الحروب العالمية نقطة تحول في نظرة العالم للمرأة، صحيفة التحرير الجديد، 8/مارس/2015
2. خالد سليمان، مجد حماد، جهود مكافحة العنف ضد المرأة في الاردن، مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث (كوثر)، تونس، 2006.
3. خيرى حسان سيد، بحث الأبعاد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والنفسية لظاهرة العنف ضد المرأة، المجلد ٣٧، جامعة عين شمس، مصر، 2009.
4. د. رحيم العزاوي، منهج البحث العلمي، الطبعة الاولى، عمان، 2008.
5. د.رقية البدارين، د. فريد محمد القواسمي، دور المرأة في قيادة التغيير: دراسة تطبيقية على منظمات المرأة العاملة في الاردن، دراسة مقدمة ل (مركز البلقاء للبحوث والدراسات)، عمان، 2013.
6. د. مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، مدخل الى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب
7. د. نوال السعداوي، المرأة والجنس، دار ومطابع المستقبل، الاسكندرية، مصر
8. رائدة أيوب، الجدوى الاجتماعية للمشاريع متناهية الصغر وتأثيرها على النساء في الريف السوري، رسالة دكتوراه، جامعة سانت كلمنس، دمشق، 2010.
9. صالح زيادنة، موسوعة الأمثال الشعبية، دارالهدى للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، حزيران 2004
10. مركز التنمية والتغذية الريفي، دراسة العنف الأسري ضد المرأة الأسباب والمعالجات، السودان، 2006.

## ثانياً: المراجع الأجنبية:

1. Ayman Mahmoud, World Wars A Turning Point in the Worldview of Women, New Liberation Newspaper, 8 March 2015
2. Center for Rural Development and Nutrition, the study of domestic violence against women causes and treatments, Sudan 2006.
3. Dr. Mustafa Hijazi, Social underdevelopment, Introduction to the Humanized Psychology of the Human Being, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco
4. Dr. Nawal Saadawi, Women and Gender, Future Printing House and Press, Alexandria, Egypt
5. Dr. Rahim Al-Azzawi, Scientific Research Methodology, First Edition, Amman, 2008.
6. Dr. Roqya Al-Badareen, d. Farid Muhammad Al-Qawasmi, The Role of Women in Leading Change: An Applied Study on Working Women Organizations in Jordan, A Study presented for (Al-Balqa Center for Research and Studies), Amman, 2013.
7. Khairy Hassan Sayed, A Study of the Social, Cultural, Economic and Psychological Dimensions of the Phenomenon of Violence against Women, Volume 37, Ain Shams University, Egypt, 2009.

8. Khaled Suleiman, MajdHammad, Efforts to combat violence against women in Jordan, Center for Arab Women for Training and Research (Kawthar), Tunis, 2006.
9. RaedaAyoub, The Social Feasibility of Micro Enterprises and Their Impact on Women in the Syrian Rural, PhD Thesis, Saint Clemens University, Damascus, 2010
10. Saleh Ziadna, Encyclopedia of Popular Proverbs, Dar al-Haladi Publishing and Distribution, First Edition, June 2004